الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche scientifique

المركز الجامعي

عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

Centre Universitaire

Abdelhafid Boussouf Mila

معهد الآداب واللُّغات

Institut des lettres et des langues

www.centre-univ-mila.dz

الدكتور: سمير معزوزن

المقياس: تعليميات تطبيقية

السنة: ثالثة – لسانيات تطبيقية

العام الجامعي: 2023 - 2024

المحاضرة الرابعة

المحاضرة الرابعة بعنوان: بذور التَّعليمية في التراث

لاشك أنَّ النَّاظر في التراث اللُّغوي العربي، يُدرك بجلاء أنَّه يزخر بإسهامات العلماء العرب اللُّغوية الكثيرة، حيث أبدعوا واكتشفوا نظريات علمية عديدة، لا نبالغ إن قلنا أنهم كانوا السباقين إليها، وهو ما يتفق مع ما تقره الدّراسات اللّسانية والتَّعليمية الحديثة والمعاصرة. وتجدر الإشارة –هنا- أنَّ المكتبة العربية في هذا الإطار تحتوي على العديد من الكتب التراثية الّتي سعى فيها أصحابها أن يقدموا الكثير من المفاهيم والآراء والتَّصورات الّتي وضعت الإرهاصات الأولى للدَّرس التَّعليمي للُّغة العربيَّة وهو ما يتوافق كثيرًا مع قواعد ومبادئ وتصورات التَّعليمية ولا يتعارض معها، وإنَّه يتفوق عليها في أحيان أخرى. وعليه، نسعى من خلال هذه المحاضرة، أن نُوضّح ونُبيّن إسهامات العلماء العرب القدامى في ميدان التَّعليم والتَّعلُّم، وذلك بالتركيز على العلامة عبد الرحمان ابن خلدون.

ابن خلدون:

1 – في مفهوم الملكة اللُّغويَّة:

إنَّ المتمعن والمدقق في كتاب المقدمة لابن خلدون، يلحظ أنَّه قدم تعريفًا جامعًا مانعًا للملكة اللُّغويَّة يتفق كثيرًا مع التَّعاريف الّتي قدمها علماء التَّربية والتَّعليم في العصر الحديث والمعاصر للملكة اللُّغويَّة وكيفية حصولها، إذ يقول: " **...اعلم أنَّ اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس بالنظر إلى المفردات، وإنما بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب ألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة...**[1]".

ينم هذا القول عن رؤية ابن خلدون حول الملكة اللُّغويَّة، وإبراز أوجه تشكلها، مع التَّذكير أنَّها لا تخص اللّسان العربي وحده، بل هي تنطبق على كل اللُّغات البشريَّة جمعيها دون استثناء. وتمكن الملكة اللُّغوية الإنسان من التَّعبير عن المعاني وكل ما يختلج في صدره، ويتفاوت هذا التَّعبير بحسب تمام الملكة أو نقصانها، فإذا كانت الملكة تامة كان التَّعبير كاملاً تامًا، وإذا كانت الملكة ناقصة كان التَّعبير ناقصًا. وينظر في تمام الملكة أو نقصانها إلى التَّراكيب لا إلى المفردات، وهو ما يتفق كثيرًا مع ما نادت إليه اللّسانيات

([1]) – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطبعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1 ، 2004 ، ص630

التَّداولية الّتي انتقدت كثيرًا اللّسانيات البنوية الّتي بالغت في تصوراتها الصُّورية للُّغة والاقتصار على الجملة كأعلى مستوى من التَّحليل. وهذا " **الغلو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور(الثنائيات) الذي وضعه دي سوسير بين اللغة والكلام، حيث أبعد الكلام الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة ونظامها**[2]".

وعليه، قسم ابن خلدون التَّراكيب إلى نوعين: تركيب أساسي(ملكة أساسية): وهو التَّعبير البليغ الّذي يتحرى فيه المتكلم نظام اللُّغة بقواعدها، مع الابتعاد عن كل الانزياحات والتَّعابير الأدبية والبيانية وهو تعبير خاص بكل الناس وغرضه الإفادة . وتركيب بلاغي(ملكة بلاغية): يسعى هذا التَّعبير إلى التأثير في المتلقي باستعمال كل أوجه التَّعابير البيانية ليتحقق الجمال الفني والتأثير في المتلقي.

1 - 1 – الملكة اللغوية غير صناعة العربية:

إذ يقول ابن خلدون:" **في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم والسبب في ذلك: أنَّ صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية. ليست نفس الملكة، وإنما بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا، ولا يحكمها عملاً**[3]". ونستشف من قول ابن خلدون، أنَّ صناعة العربيَّة تكون كنتيجة لمعرفة قوانين الملكة اللُّغوية؛ أي بعبارة أخرى متكلم اللُّغة يعتمد على القوانين والنواميس الّتي ترسخت في ذهنه لإنتاج الجمل.

وعليه، فليس بالضَّرورة من يحفظ ألفية ابن مالك المشهورة في النَّحو يجيد قواعد اللُّغة العربيَّة. فابن خلدون يفرق بين ملكة اللُّغة وصناعة قواعد هذه الملكة. والملكة اللُّغويَّة هي معرفة بقوانين الإعراب وليست هي قوانين الإعراب ذاتها. وتصور ابن خلدون هذا يتفق كثيرًا مع المدرسة التَّوليدية التَّحويلية في تفريقها بين النَّحو الضمني(**Grammaire implicite**) الّذي يكتسب بطريقة لا شعورية لا إرادية دون قصد أو بذل أي جهد. والنَّحو المباشر(**Grammaire explicite**) الّذي يبنى بطريقة واعية شعورية تأملية مع بذل جهد" **وهناك فرق بين ما يعتاده المتكلم من نظم اللغة التي قيس عليها، وما يفعله علماء النحو من وضع القواعد والقوانين، الأول يحدث دون قصد وتعمد، أما الثاني فنية العمد فيه واضحة مقصودة الأول يتعوده الشعور حتى يصبح عادة من عادته كالمشي والطعام والآخر مقاييس محددة**

([2]) – خولة طالب الابراهيمي، مبادىء في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط1 ،2000 ، ص177

([3]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص636

موضوعة للاكتساب والفهم، الأول انعكاس الاستعمال على ناطق اللغة والثاني آراء الدارسين المقننة لمن يستعمل اللغة[4]".

1 – 2 – في فساد الملكة اللغوية:

يُقرُّ ابن خلدون في كتابه المقدمة، أنَّ فساد ملكة اللسان العربي يعود أصلاً إلى تعرض متكلم اللسان العربي إلى ألفاظ وتراكيب أعجمية من لغات أخرى، وخاصة مع توسع النطاق المكاني لمتكلمي اللُّغة العربيَّة، ومحاولة غير الناطقين بها اكتسابها."**وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقي إليها ما السمع من المخالفات التي للمستعربين. والسمع أبو الملكات اللسانية، فسدت بما ألقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع**[5]". ويرى ابن خلدون – فيما يرى- أن سبب هذا الفساد هو استعمال التركيب المحيل على البناء الفكري للغة من اللغات؛ ذلك أن استعارة قانون تركيب من لغة من اللغات وتطبيقه دون مراعاة نظام اللغة المستعيرة لابد سيوقع المتكلم في الخطأ واللحن لعدم تطابق هذه القوانين في اللغات الإنسانية جميعًا[6].

1 – 3 – شروط اكتساب الملكة اللغوية:

1 – السمع:

وهو عملية فسيولوجية، تستقبل فيها الأذن ذبذبات صوتية، يتوقف نحاج استقبالها على سلامة الأذن. وهذه العملية يبدي لها المستمع كل الاهتمام، وتعتمد على عمليات عقلية وذهنية معقدة تستدعي اتحاد السمع والتفكير معاً. وقد خص ابن خلدون مهارة السمع باهتمام كبير، حيث يقول: "**السمع أبو الملكات اللسانية...**[7]". وبذلك يكون ابن خلدون قد ميزها وفضلها عن غيرها من الحواس الأخرى، كيف لا والجنين في بطن أمه أول حاسة تعمل عنده هي حاسة السمع، والإنسان يستمع أكثر مما يتكلم، وخلق الفرد بأذنيين وفم واحد، وهي الحاسة التي تعمل لدى الإنسان باستمرار في نومه واستيقاظه.

([4]) – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون،عالم الكتب للطباعة والنشر، مصر، 1979 ، ص 32

([5]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص621

(3)– ينظر:مسعودة خلاف شكور، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، جامعة جيجل، الجزائر، 2013 ، ص21

([7]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص621

ولهذا، يلح ابن خلدون على تعلمها منذ بداية اكتساب اللغة؛ أي اتخاذها غاية للحصول على الملكة اللغوية. ويواصل ابن خلدون حديثه، فيقول:"**فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها؛ قيلقنها أولا يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم**[8]".

ومن هنا، نستخلص من قول ابن خلدون، أنَّ البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد تؤدي دورا كبيرًا ومهمًا في عملية اكتساب الملكة اللغوية، حيث بمقدرة أي متعلم في العالم أن يتحصل عليها ويكتسبها بالانغماس اللغوي اليومي في ألفاظ وتراكيب اللُّغة الّتي يريد أن يتعلمها، ونجاح المتعلّم في تكوين وبناء لغته الأولى يرتبط أساسًا بكل ما يسمعه من حوله.

2 – التكرار والممارسة:

يرى ابن خلدون أن التكرار والممارسة من أهم العوامل المساعدة على اكتساب الملكة اللغوية، من الاستعمال الدائم لها والممارسة للنتاج اللغوي بكل أنواعه، حيث يقول:" **والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا. ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة**[9]".

وبالنظر إلى المسوغات السابقة، نرى أنه على الرغم من أن ابن خلدون لم يستخدم مصطلح الممارسة، إلا أننا ما يمكننا أن نستلهم هذا المصطلح من قوله، هو أنَّ الفعل المتكرر لمرات عديدة يسكب الفرد عن طريق هذا التكرار والتجربة والممارسة. فتجد الفرد في بداية اكتسابه للملكة اللغوية يبدأ بتكرار الفعل، ثم بعد ذلك تتكرر هذه المسميات العرضية التي لم تترسخ بعد بالتكرار إلى تصبح في الأخير ملكة راسخة.

3 – الحفظ:

توصل ابن خلدون إلى نظرية مفادها، أنَّ الطفل إذا أراد أن يكتسب الملكة اللغوية بطريقة جيدة عليه بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية والنتاج العربي الفصيح من الشّعر والنثر والكلام المأثور من السلف

([8]) – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ، ص630

([9]) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها

الصالح، حيث يقول: " **قد قدمنا أنَّه لابدَّ من كثرة الحفظ، لمن يروم تعلم اللّسان العربي؛ وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته وقلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ**[10]". ويتجلى هذا الحفظ من خلال الاستخدام الفردي لكلام العرب، والتعبير عما في نفس الفرد بأساليب العرب، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة البناء والإنشاء والقياس والنسج على منوال هذا الحفظ.

4 – الذوق:

يمكننا أن نقرر بداية، أنَّ ابن خلدون انطلق من هذه التسمية ليعطي الحكم على الطعام من خلال تذوقه دون قواعد وقوانين تحكم ذلك التذوق. وهو ما ينطبق على الحدس اللغوي الذي يتجلى في مقدرة المتعلم الحكم على خطأ التراكيب اللغوية وصحتها بالفطرة. وفي هذا السياق، يقول:"**واستعير لهذه الملكة، عندما ترسخ وتستقر، اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان والذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم**[11]".

والأعاجم - في ضوء تصور ابن خلدون- لا تحصل عندهم هذه القدرة الفطرية التي تعكس جانبا من جوانب معرفة المتعلم اللغوية، لأنهم لم يحظوا بممارسة واستعمالها كما حظي بذلك أهلها."**إنَّ الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب، فإنَّه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها**[12]".

2 – طرائق التعليم عند ابن خلدون:

2 – 1 – طريقة التلقين والحفظ:

يرى ابن خلدون أنه من أراد أن يُؤتي ملكة اللّسان العربي عليه " **أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم**[13]". وإذا كانت طريقة التلقين تعتمد

([10]) – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ص654

([11]) – المصدر نفسه، ص639

([12]) –. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص639

([13]) - المصدر نفسه، ص636

أساسًا على تقلين المتعلم معارف جاهزة لا يفكر في طبيعتها ولا ينتقدها، والمعلم مالك المعرفة والمسيطر عليها، والمتعلم متلقي سلبي. ولهذا، يرى ابن خلدون بأنَّ طريقة الحفظ والتلقين هي الطريقة المناسبة في المراحل الأولى لتعلم اللُّغة، خصوصا أنَّ هذه المرحلة ترتبط بتشكل الرَّصيد اللُّغوي لدى المتعلّم، وهذا التشكل يرتبط بحفظ القرآن الكريم. حيث يقول:" **وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات**[14]".

2 –2- الاعتماد على الوسائل التعليمية الحسية التي تقترب من و اقع المتعلم:

ما لبثت دراسات أهل الاختصاص في هذا السياق، تؤكد على أهمية اعتماد وسائل تعليمية حسية تقترب من الواقع المعيشي للمتعلم حتى يتمثل تعلماته وتترسخ في ذهنه ويجسدها ميدانيا في لغته وسلوكاته وتصرفاته. حيث يقول ابن خلدون:" **ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة، إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً، بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه، حتى تتم الملكة في الاستعداد؛ ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن**[15]".

2- 3 – التَّدرج:

يرى ابن خلدون أنه إذا أردنا أن يقبل المتعلم على المعرفة ويستوعبها، يجب أن نعتمد في تعليم المعرفة على طريقة التدرج حسب المرحلة العمرية للمتعلم وقدراته العقلية والمعرفية. "**واعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا، إذا كان على التدريج، شيئًا فشيئًا وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب**[16]".

2 – 4 – اعتماد طريقة الرحلات العلمية ولقاء المشيخة:

إذا كان تلقي المعرفة يعتمد بصورة خاصة على لقاء المشايخة والعلماء وتلقيها منهم، أو بالاعتماد على كتبهم ومؤلفاتهم العلمية، ولكننا نرى – فيما نرى- أنَّ المعرفة الّتي يكتسبها الفرد من لقاء العلماء وتبادل التَّجارب والخبرات معهم هي الأشد رسوخا واستحكاما لدى المتعلّم، لأنَّ العلم كما قيل يؤخذ من أهواه

([14]) – المصدر نفسه، ص610

([15]) – المصدر نفسه، ص606

([16]) – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص604

العلماء. وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: " **البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما وإلقاء؛ وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلا أنَّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا و أقوى رُسوخًا. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها**[17]".

2 – 5 – التكرار:

لابدَّ من التَّأكيد –هنا- أنَّ التّكرار يمكن اعتباره من الأساليب التَّعليمية القديمة التي استعملت في التَّعليم، حيث يؤدي دورا كبيرًا في إثراء الرصيد اللغوي للمتعلم وتطويره، وترسيخ المعارف في ذهنه. وبذلك، فالمتعلم لا يُحصّل معارفه دفعة واحدة، وإنما عن طريق تكرارها متدرجة. وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله:"**ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا، بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه، حتى تتم الملكة في الاستعداد؛ ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن**[18]".

2 – 6 – المحاكاة والتقليد:

إنَّ ما هو متعارف عليه عند أهل الاختصاص، أنَّ الطفل بغريزته وطبيعته الفطرية التي فطر عليها يميل إلى التعلم عن طريق المحاكاة والتقليد. وبطبيعة الحال، فالطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يميل إلى محاكاة وتقليد كل المحيطين بدءا في ذلك بأبويه وانتقالاً إلى إخوته، فتجده في هذا السياق، يقلد كل شيء يقع تحت ملاحظته ومشاهدته، من مثل طريقة مشي الأبوين وكلامهم وسلوكهم مع غيرهم.

وعليه، يمكننا اعتبار التقليد والمحاكاة من أيسر الطرائق وأنجعها في اكتساب الطفل للمهارات اللغوية، وفي اتصاله وتواصله مع العالم الخارجي وكل من يحيط به. وهو ما نوه به ابن خلدون في قوله:" **وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب، حتى يصير كواحد منهم. ومثاله: لو فرضنا صبيا من صبيانهم، نشأ وربي في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها، حتى يستولي على غايتها**[19]".

([17]) – المصدر نفسه،ص 614

([18]) - المصدر نفسه،ص606

([19]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص639

3 – عناصر العملية التعليمية عند ابن خلدون:

3 – 1 – المعلم:

لا يخفى على أحد، أنَّ المعلم يحظى بمكانة لا يستهان بها في العملية التعليمية – التعلمية، فهو القلب النابض وشريان هذه العملية. ونجاح المعلم فيها يرتبط أساساً بمقدرته على إيصال المحتوى التعليمي إلى أذهان المتعلمين باستخدام طرائق تعليمية مناسبة تحقق هذا المبتغى المنشود. وتُعرَّف الطريقة بأنها:" **المنهج الذي يسلكه المعلم في توصيل ما جاء في الكتاب المدرسي أو المنهاج الدراسي من معرفة ومعلومات ونشاطات للتعلم بسهولة ويسر**[20]".

وبناء على ما تقدم ذكره، فجهل المعلّم وعدم معرفته بطرائق التَّعليم الفعالة والناجعة يحول – حسب اعتقادنا- دون تحقيق أهداف المنظومة التَّربوية ككل. وقد عبر ابن خلدون عن هذا الموقف بقوله:" **وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم و إفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه**[21]".

3 – 2 – المتعلم:

لابدَّ من التَّأكيد هنا، أنَّ معظم الدّراسات الّتي أجريت في تعليم اللُّغة الأولى واللُّغة الثَّانية توصلت إلى حقيقة مفادها، أنَّ متعلم اللُّغة يمر بفترة حرجة تساعده هذه الفترة على تعلم أكثر من لغة دون أية صعوبة بالمقارنة مع الصُّعوبة الّتي يجدها المتعلّم في تعلم اللُّغة عندما يكبر. والفترة الحرجة" **هي فترة من العمر محدودة بيولوجيا حيث يمكن للإنسان قبلها أن يكتسب اللُّغة في يسر، وحيث تزداد الصعوبة بعدها في اكتساب اللُّغة**[22]".

ومن هنا، يرى ابن خلدون أنَّ تعليم اللُّغة العربيَّة في الصّغر هو التَّعليم الأشد رسوخا واستحكاما للتَّعليم الّذي يكون بعده، حيث يقول:"**أنَّ تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأنَّ السابق**

([20])- أفنان نظير دروزة، النظرية في التدريس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ،2000 ، ص176

([21]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص606

(1)– دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر:عبده الراجحي، علي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1994 ، ص61 - 62

الأول للقلوب كالأساس للملكات[23]". ولهذا، فحري بنا أن نولي العناية بمرحلة الطفولة لما لها من أهمية في نمو الطفل العقلي والمعرفي واللُّغوي والاجتماعي والانفعالي، وهو ما يساعده كثيرًا على التَّعلُّم بأيسر الطرق وأسهلها وأنجعها.

وفي سياق آخر، عرج ابن خلدون إلى التذكير بأهمية الرفق بالمتعلّم وعدم الشدة عليه وضربه ضربًا مبرحًا، إذ المبالغة في الضرب الّتي نراها عند بعض المعلمين تؤثر بطريقة سلبية في نفسية المتعلّم، ما يجعله يتعمد الكذب النفاق والمكر. فالمتعلّم خوفًا من عقاب معلمه يلجأ إلى الكذب والخديعة نظرًا لعدم شعوره بالراحة والاطمئنان من معلمه، بذلك يؤدي العقاب إلى نتائج وخيمة على العملية التَّعليمية-التَّعلُّمية ككل.

ونزيد على ما تقدم فنقول، أنَّ نتائجه السّلبية لن تزول بتجاوز المتعلم مرحلة الطفولة، بل آثاره تستمر وتتواصل معه إلى المراحل التي تلي مرحلة الطفولة. وفي سياق الحديث عن عدم الشدة على المتعلمين يقول ابن خلدون:" **ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطًا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا**[24]".

3 – 3 المحتوى:

وجدير بالذّكر، أنَّ المحتوى التَّعليمي هو عبارة عن مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات والأفكار الّتي نسعى إلى غرسها في سلوكات المتعلمين وتصرفاتهم، وبواسطته يتم تحقيق الأهداف التَّربوية المنشودة. وعليه، يجب أن يرتبط المحتوى التَّعليمي بالمستوى العمري للمتعلم وقدراته. حيث يقول ابن خلدون:" **أنَّ إرهاف الحدّ في التَّعليم مضر بالمتعلّم، سيما في أصاغر الولد؛ لأنَّه من سوء الملكة**[25]".

وعليه، فمن مظاهر النَّقائص الّتي أقرها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في المحتويات التَّعليمية الجزائرية، أنَّ الحصيلة اللُّغوية المقدمة للتَّلاميذ من المفردات في مدارسنا تتسم بالكثير من العيوب

---

(2)- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص610

([24]) – المصدر نفسه ،ص613

([25]) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

والنقائص الّتي أثرت بطريقة سلبية في مكتسبات المتعلّم اللُّغوية " **فمن حيث الكم: تقدم للطفل غالبًا كمية كبيرة جدًا من العناصر اللُّغوية لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها، ولذلك تصيبه ما نسميه بالتُّخمة اللُغوية، وقد يكون ذلك سببًا في توقف آليات الاستيعاب الذهني والامتثالي، وهذا ما نلاحظه في تنوع المفردات في النَّصّ الواحد مع وجود صعوبات أخرى تخص غرابة التراكيب بل غرابة المفاهيم. ومن حيث الكم والكيف: الكلمات الّتي يحاول المعلّم تلقينها تكاد تشتمل على جميع الأبنية الّتي تعرفها العربيَّة، ونلاحظ ذلك أيضًا في النَّصّ الواحد، وهذا يسبب تخمة أخرى في مستوى البنى**[26]".

([26]) - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص205